**المحاضرة 4 الملحمة المفهوم والخصائص.**

* **تـعريف الملحمة لغة:**

**الملحمة لغة** كلمة ملحمة يونانية الأصل وتلفظ Epikos أو Epo ومعناها كلام أو حكاية، وبالفرنسيةEpopée، وبالانجليزية Epic، أما في العربية **فتعني معجميا" الموقعة العظيمة القتل في الحرب نقول تلاحم القوم إي تقاتلوا كما يدل مصدرها على معنى "الإحكام" بمعنى الفصل والفري نقول لحم الأمر: أحكمه، وألحم الشعر: نظمه فهو ملحم والقصيدة ملحمة إذا كانت مترابطة محكمة.**

**ومنه أيضا لغة" فالملاحم جمع ملحمة على وزن مدرسة ومحكمة والملحمة الوقعة العظيمة من وقائع الحروب التي يتلاحم فيها الجيشان المقتتلان، يقول "بشار بن برد":**

**في كل يوم لنا عيد وملحمة حتى سبانا بأسياف وأغماد.**

* **تعريف الملحمة اصطلاحا:**

لا تزال كلمة ملحمة غامضة في كثير من الأذهان ، ومن هذا المنطلق ، فكأنه من الصعب تعريف الملحمة تعريفا دقيقا جامعا مانعا، والأكثر صعوبة من ذلك هو محاولة تصنيف الملاحم تصنيفا قاطعا في فئات متمايزة حسب الموضوع، ولذا فإن الباحثين يكتفون في التمييز بين الملاحم الشفوية والملاحم المكتوبة أو الأدبية"

هذا تعريف آخر الملحمة" قصة شعرية موضوعها وقائع الأبطال الوطنيين العجيبة التي تبوئهم منزلة الخلود بين بني وطنهم ، ويلعب الخبال فيها دورا كبيرا إذ تحكى على شكل معجزات مقام به هؤلاء الأبطال وما به تسموا على الناس وعنصر القصة واضح فيها فالحوادث تتوالى متمشية مع التطورات النفسية التي يستلزمها تطور الأحداث"

إذا فالملحة في الأدب معناها قصيدة قصصية متعددة الأناشيد، تسرد حوادث بطولية وتصف مغامرات مدهشة أبطالها بشر

متفوقون وآلهة.

ولكل ملحمة أصل تاريخي صدرت عنه بعد أن حرفت تحريفا يتفق وجو الخيال في الملحمة وهي محكية لشعب يخلط بين الحقيقة والتاريخ مما يسبغ أن تحدث خوارق العادات، وأن يتراءى الإنس والجن والآلهة والأبطال فيما يمثلون جنسهم وعصرهم ومدينتهم.

وتتمتع الملحمة بقوة إيجابية كبيرة تتأسس على مخيلة غرائبية تتمظهر في قصيدة سردية تسهم في خلق عالم مغاير للعالم المألوف من حيث السعة والغرابة قادر على إخراج المتلقي من عالم الواقع إلى عالم الخيال،وأكثر .

وقد عرف بول أرون **(Paul Aron**)وآخرون من الملحمة في القاموس الأدبي:" تعتبر الملحمة من بين أرقى الأجناس الأدبية خلال العصور الكلاسيكية وقد عرفتها القواعد التي صاغتها شعرية أرسطو، بأنها حكاية تروى بأسلوب راق مفاخر الأبطال أمراء وآلهة خاصة المفاخر الحربية حيث يتخللها تدخل القوى الآلهة، وهو مانحى بها منحى عجائبيا".وقد عرف هذا الفن عند اليونان منذ القديم في أرقى مستوياته فتداولوه فيما بينهم بل حاول فلاسفتهم ومفكروهم التنظير لهم.

-3**-الملحمة جنس أدبي :**

الملحمة جنس أدبي قائم بذاته عرف عند شعوب السرديات الكبرى ، هذه الشعوب سادت فيها ثقافة المشافهة والتي كانت تعنى بالمرويات.

ذهب الفيلسوف اليوناني أرسطو إلى تعريف الملحمة باعتبارها جنسا أدبيا ذلك منذ القديم لأن الملحمة منظومة قصصية طويلة تعالج بطولات قومية، وتتضمن أحداثا يمتزج فيها الخيال بالحقيقة ، أما من حيث الشخصيات فتتميز بقوتها الفائقة سواء من الناحية الفيزيائية أو المعنوية إلى حد يجعل منهم أبطالا يتحلون بالمعجزات قادرين على منازلة الآلهة نفسها، ليس هذا فحسب بل تنعكس في الملحمة حضارة أمتها بما في ذلك حروبها وعاداتها وتقاليدها ومشاكلها ومعتقداتها الخاصة بالقوى الطبيعية وغير طبيعية بالإضافة إلى المعجزات والخوارق التي لم يألفها المنطق،......كما أنها تتميز بأسلوب شعري فخم وخيال خصب وقدرة على خلق عالم متكامل.

مما سبق إن الملحمة من حيث هي جنس أدبي هي قصة طويلة بطولية تحكى شعرا تحتوي عللا أفعال عجيبة، أي على حوادث خارقة للعادة وفيها يتجاوز الوصف مع الحوار وصور الشخصيات.

وعليه تكاد جميع التعاريف أن تجمع على أن الملحمة هي شعر بطولي يحكي قصصا وبطولات ووقائع، ويصور معارك معتمدة على الأساطير والخوارق متصلة بقضية إنسانية قوية مع الدفاع عن المقدسات.

1. **خصائص الملحمة:**

تنفرد الملحمة بخصائص جمة تميزها عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى منذ القديم يمكن أن نوجزها فيما يلي:

* **أول هذه الخصائص كون المجتمعات البشرية في الملاحم مجتمعات بدائية تؤمن بالخرافات والأساطير.**
* **الملحمة قصة منظومة طويلة موضوعها البطولة ولها أسلوب روائي راق يتراوح بين الإخبار والوصف والحوار والخطب ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا.**
* **التنوع والتشعب في الموضوعات .**
* **تتضمن حوادث مرتبطة بتراث الأمم تعود إلى أزمنة قديمة لما كانت الجماهير تهتم بالأحداث العجيبة أكثر من اهتمامها بالواقع.**
* **شعر الملحمة موضوعي لا تظهر فيه الذات الشاعرة، وإنما تظهر فيه الجماعة ومشاعر العامة.**
* **قصائد طويلة قد تصل إلى آلاف الأبيات.**
* **تظهر الملحمة في شعوب السرديات الكبرى، التي تعتمد على حضارة المشافهة، حيث تجمع هذه الشعوب بين الحقيقة والخيال وخوارق وعادات وتمزج بينها في أسلوب أسطوري تتجلى فيه الوحدة العضوية.**
* **شعرها يسير في مستوى واحد لأنه أسلوب المؤلف يرويه بطريقة الحكاية.**
* **توصف الملاحم بأنها نوع من الشعر اللاشخصي** – impersonnelوأنها شعر غير ذاتي رغم أنها عمل **إ**بداعي.
* **يستخدم معظم كتاب الملاحم وسيلة فنية لاستمالة القارئ وإغرائه وتتمثل فيما يمكن تسميته بـ الاستطراد وهي طريقة يستعملها أصحاب النصوص التي تتطلب المعنى المتوالد.**
* **التنوع والتشعب في الموضوعات .**
* **المزج بين القوى البشرية والقوى الإعجازية وهي خاصية الملاحم الكبرى، وتتمثل شخصية البطل نتيجة زواج أم بشرية من الكائنات غير البشرية.**

نموذج تطبقي: **ملحمة جلجامش**

تمهيد:

سبق أن تحدثنا في المحاضرة السابقة عن الملحمة باعتبارها جنس أدبي مكتمل الأجزاء، كما أنها **قصة منظومة طويلة موضوعها البطولة ولها أسلوب روائي راق يتراوح بين الإخبار والوصف والحوار والخطب ويلعب الخيال فيها دورا كبيرا، ومن بين هذه الملاحم نذكر ملحمة جلجامش التي تعتبر أقدم ملحمة في تاريخ الشرق القديم.**

**ما ذكرته الدراسات التاريخية حول الملحمة:**

أشارت الكثير من الدراسات التاريخية إلى أن أقدم أشكال الملاحم ازدهرت بالشرق الأدنى وتغنى بها السومريون القدماء خلال حروبهم الطويلة كملحمة "جلجامش" التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفي سنة قبل الميلاد، ثم عني بها البابليون فيما بعد " إن هذه الملحمة دلت على أنها كتبت في عصور متقدمة من التاريخ البشري غرزت المعارف وأوضحت المعالم عن حياة شعب كان يقيم فوق أرض العراق ما قبل تاريخنا بآلاف السنين والتاريخ الذي يدل على تقويمها { 2100-2300ق م} إنها تراث فني راق يحكي طفولة الشعب الأكادي البابلي / ويكشف عن أسرار حضارته المخبوءة التي طواها تباعد الزمن في بلاد مابين النهرين"

ويستدل هؤلاء الباحثين ومؤرخي الأدب على ذلك بوجود أوجه تشابه بين ملحمة جلجامش والأوديسة والإلياذة، مما جعلهم يذهبون إلى تأثر هوميروس بملحمة جلجامش، ففيما يخص ملحمتي جلجامش والإلياذة نجد موت الصديق في كلتا لملحمتين يدفع بالفعل الملحمي إلى الأمام، فموت أنكيدو يدفع جلجامش إلى رحلة البحث عن الخلود، وموت باتروكس يدفع أخيل إلى المشاركة في الحرب التي كان قد انسحب منها.

أما ملحمتي جلجامش والأوديسة فيلاحظ أن الموضوع الرئيس فيهما هو البحث بحث البطل عن التجربة والخبرة وبحثه عن الخلود خلود الأعمال العظيمة حد المخاطرة بالحياة.

تعد ملحمة جلجامش من الملاحم أبرز الملاحم التي تحدث عنها الباحثون بكثرة وحاولوا مقارنتها بالملاحم الإغريقية القديمة ومع أن حوادثها ترجع إلى أزمان غابرة وبعيدة جدا، فإنها مثل الآداب العالمية الشهيرة متزال خالدة وذات جاذبية إنسانية هامة في جميع الأزمان والأمكنة ، لأن القضايا التي عالجتها لاتزال تشغل بال الإنسان وتفكيره وتؤثر في حياته العاطفية والفكرية مما جعل مواقفها وحوادثها مثيرة تأسر القلوب.

**ثانيا- وصف ملحمة جلجامش:**

**تعتبر ملحمة جلجامش البابلية القديمة متكاملة الأجزاء ومترابطة الأحداث، وتتضمن فكرة فلسفية ذات أهمية بالغة. فهي تصور نزوع الإنسان إلى محاولة التشبث بالحياة والحصول على الخلود، بدلاً من مصيره المحتوم بالموت.. وهو نزوع إنساني قديم وحديث، نقرأ عنه فى الأزمنة السحيقة، (المعابد المصرية والأهرامات) كما نراه واضحا في الأيام الأخيرة من حياة بعض زعماء العالم وأثريائه حتى اليوم .**

**لكن الملحمة – قبل ذلك – تعد تحفة أدبية نادرة ليس فقط بشخصياتها المتحركة، وإنما أيضًا بأحداثها المليئة بالمغامرات. ولا تكاد الدهشة تترك قارئها قبل أن ينتهي من قراءتها.**

**ولحسن الحظ أن لها – فى اللغة العربية – عدة ترجمات، أرى أن أفضلها هي ترجمة الأستاذ طه باقر، التي قدم لها بدراسة جيدة جدًا عن الآداب القديمة في العراق .**

**يقول طه باقر:" إن ملحمة جلجامش التي يصح أن نسميها بأو ديسة العراق القديم ، يضعها الباحثون ومؤرخو الأدب بين شوامخ الأدب العالمي ، وإذا تذكرنا ما قلناه في معرض مقارنتها بأقدم النماذج الأدبية العالمية أدركنا أن ملحمة جلجامش أقدم نوع من أدب الملاحم البطولي في تأريخ جميع الحضارات، وإلى هذا فهي أطول وأكمل ملحمة عرفتها حضارات الشرق الأدنى وليس ما يقرن بها أو يضاهيها من آداب الحضارات القديمة قبل اليونانّ**

**جاءت ملحمة جلجامش في اثنتي عشر لوحة مدونة باللغة البابلية التي ظهرت في القرن 17ق م، ويمكن تقسيمها إلى أربعة فصول:**

* **لقاء جلجامش بالبطل أنكيدو.**
* **مغامرات جلجامش مع أنكيدو.**
* **موت أنكيدو وحزن صديقه عليه وسعيه وراء الخلود.**